

الإثنيون 11-04-2011

1319-يوم إبداء الشخصي

قصة قديمة (11) :

وبرغم الأسئلة التأميرية.... (قصة)

(1)

نظرت إلى السمكة وهي ترقص رقصة الموت معلقة في طرف السنارة، ولم تبتسم، ولا هي أسفت على الساعات التي قضتها تحاول الصيد بأقل قدر من المهارة. الهواء الذي يداعب شعرها يعاتبها على أمر لا تدريه، قالت له تدافع عن نفسك: "إنها غير مذنبة، وأن المسألة ليست شخصية أبداً". تماوجت خصلات شعرها أكثر مع هبات الريح المتزايدة حتى بدت الخصلات كأنها انتهزت الفرصة لتفر من فروة رأسها، وتفضحها. أرادت - ربما من باب التكفير - أن تعيد السمكة إلى رحم الماء الذي بدا متلهفاً على استرجاعها، راحت تتابع رقصة السمكة وهي تتلوى في بأسٍ صاحب.

كانت ما زالت أبعد عن الفرحة بصيدها. هي أقرب إلى الاحتجاج، وأعجز عن الفعل: لماذا يقتلون الأطفال في بيت حانون؟ لماذا تستعمل الولايات الزفت حق الفيتو ضد لوم إسرائيل؟ لماذا يجمع ديك تشيني مزيداً من المال بمزيد من التجويع والدماء، وقلبه لا يحتمل نصف كعكة من التي تصنعها أمه، خسارة في أهله؟ لماذا لا يتعلم رؤساؤنا من مهاتير محمد مع أنه أنجز ما لم ينجزوه، ولن ينجزوه؟ ولماذا يورطون أبناءهم فيما لم يختاروه منذ البداية، وغالباً هم لا يعرفون عنه شيئاً؟ أليس من المحتمل أن يكتشفوا أن أطيب سنين حياتهم لم تكن على الكرسي؟ ألا تستحق المسألة التجربة؟

(2)

أحست بلمسة على كتفها فالتفت فإذا بالصغيرة تتمسح بها هامسة بأمر ما، قالت لها "حالا يا حبيبتى، حين نرجع البيت سوف أشوى لك هذه السمكة الجميلة، تأكلين أصابعك وراءها"، نظرت البنث إلى فراغ السنارة وتعجبت، فأسرعت البنث بالتصحيح بأنها قالت لها "أنا خائفة"، وليس "أنا جائعة"،

انزعجت الصيادة ولم تقل للبنت: وأنا أيضا خائفة يا حبيبتى، مثلك وأكثر. استمرت البنت لتعلن أنها تريد العودة للبنت لتلعب مع عرائسها، فهي تظمن معها أكثر من اطمئنانها الآن وقد انصرف الجميع كل إلى صيده، حتى لو لم يصطد شيئا، دون أن يلتفت أحد إليها.

(3)

قالت لنفسها: إن البنت معها حق، أما هي، فهي تريد أن تترك إلى صدر عريض يحتويها بقوة حنون، تريد أن تضع رأسها على كتفه، ليس تماما، تريد أن يغمض رأسها الصغير في ذلك المنخفض الخفيف أسفل كتفه الأيسر، تريد أن يلمس خدها شعيرات صدره الكثيفة الرمادية التي تسارع بالشيب الجميل رغم سواد شعر رأسه. فجأة، عادت تقفز إليها الأسئلة الخبيثة ذات الإجابات التأمرية:

لماذا سرقوا منها الخلم؟ لماذا تخاف أن تتكلم في الهاتف عن العدل؟ لماذا خان جورباتشوف العهد؟ ما الذى أخذه يلتسن معه؟ أيهما أقوى: عائلة روتشيلد أم عائلة روكفلر؟ من الذى فجر مركز التجارة العالمى؟ وكيف حصل بوتين على الخزام الأسود؟ اليمينيون يفدون إلى القاهرة كل صيف يعالجون من أمراض السياسة، والكذب، والقبلية، والتخلف، والرئاسة، فأين يذهب المصريون للعلاج من نفس الأعراض؟ ولماذا تحتج على صديقتها اللعوب وهي تحكى لها عن ذلك الخليجى البدين الذى تستجيب لدعوته ليلة بعد ليلة، وهي مطمئنة لأنه عنيق؟ مع أنها ليست منهن؟ ولماذا تحرص على صداقتها ما دامت تواصل الاعتراض على تصرفاتها هكذا؟ والألعن أنها تحرص على سماع تفاصيل حكاياتها كلما التقتا؟

(4)

تذكرت كيف طالعها وجهه في قناة الجزيرة مثل رأس البرص الذى طارده خالتها حتى السقف إلى أن نجحت في اقتناصه بفردة شبيها البلاستيك. كانت في الرابعة وكانت راجعة من الحضانة، رأت خالتها شديدة القسوة حتى خافت أن يكون مصرها "هكذا" على يديها، اختلف الأمر الآن وهي تشاهد رأس البرص وهو يعلن حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، لابد أن خالتها كانت على حق، أخيرا أفهمتها السياسة الخارجية غموض أحداث الطفولة في السياسة يبدو متخلفا عقليا أو هنا يعاملنا باعتبارنا كذلك؟

ومع ذلك فقد أيقنت أن يتكلم هكذا.

(5)

نظرت إلى سنارتها وفوجئت أنها خالية من السمكة التى كانت ترقص رقصة الموت منذ قليل. هل نجحت السمكة أن تتخلص من السنارة الحكيمة وتقفز إلى الماء أثناء غفوتها؟ هل لم يكن هناك سمكة أصلا مثلما أخت البنت الصغيرة؟ هل هي على الشاطئ حقا أم هي في حجرة نومها؟

متى يأتي من يعترف بجمالها الخاص جدا، ويكون أهلا لصحبته
بقية عمرها؟ يأتي فتراه هي أيضا "كما هو"، فيصنعان معا،
مع كل الناس، عبر الإنترنت وغيره، غدا ليس كمثله شيء، بل
حاضرا "الآن"، حاضرا مائلا يعجز أي وصف أن يحيط به.

نشرت هذه القصة: بتاريخ 2006/11/28